

فيتر هادي الذين يستمعون القول فينبون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

المعاني

بؤني الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي
غيرا كثيرا وما يدرك الا أولو الألباب

١٣١٥

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام سوى و « منارا » كمنار الطريق

مصر - الخبيس ٣٠ رمضان ١٣٢٧ - ١٤ أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٠٩ م

أبو حامد الغزالي *

٦

« رأيه في اثبات مذهب أهل الحق من المسلمين »

« و في مذهب الباطنية أهل التعاليم »

(وفيه رأيه في آيات النبوة وفي خروج المسلمين من الخلاف)

تمهيد) كان الاسلام في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وعهد الخلفاء الراشدين
دينا واحدا والمسلمون أمة واحدة لا فرق فيهم ولا مذاهب ثم حدثت المذاهب في
الاصول والفروع ووقع المسلمون فيما نهاهم الله تعالى عنه من الاختلاف والتفرق إلى
شيع متعددة كل شيعه منها تقتحل مذهبها ولم يضر المسلمين في دينهم ودنياهم شيء
كهذا التفرق ولذلك لم يشدد القرآن في النهي عن شيء كما شدد في النهي عن
الخلاف والتفرق كما بينا ذلك في تفسير القرآن الحكيم وفي مواضع كثيرة من المنار
وكان شر المذاهب وأشأمها في هذه الامة مذهب الباطنية الذين ذهبوا إلى ان
للدين ظاهرا وباطنا وان الباطن منه هو الحق المراد لله تعالى وانه لا يمكن ان يعرف

« تابه ما نشر في (س ٦٠١) من المجلد الحادي عشر

من النظر في الكتاب والسنة بطرق النظر المعروفة في الأصول وقوانين اللغة التي للألفاظ والمعاني بل لا بد في كل عصر من إمام معصوم يؤخذ عنه الدين بالتسليم الأعمى حتى إذا قال إن الشمس والقمر في القرآن لا يراد بهما هذان الكوكبان المعروفان وإنما يراد بهما فلان وفلان وجب تصديقه فلا يمارض شيء من تعليمه بمخالفة اللغة ولا العقل ولا النص !!!

وان لهذا المذهب بل الدين الذي ظهر بمظهر المذهب درجات في الاعتقاد ودرجات في الدعوة ليس هذا المكان بمحل لبيانها . والدرجة الأخيرة منها هي اعتقاد أن إمامهم هو الله الذي خلق انطلق وأوصل الرسل وأنزل الكتب (تعالى الله عما يقولون) وقد ظهروا في أطوار وتسموا بأسماء أشهرها في زمن الفزالي اسماعيلية وكان رئيسهم يومئذ حسن بن الصباح الشهير . وآخر فرقهم المشهورة في زمننا هذا فرقة الباطية أو البهائية من الباطية

ما ظهرت بدعة ولا ضلالة قام بها أهل مذهب إلا ووصل الى غيرها من المذاهب شرها ، وسرى الى أهلها ضررها ، وكان أقرب الفرق الى الباطنية فرقة الشيعة تقولهم بعصمة الائمة الاثني عشر من أهل البيت (عليهم الرضوان والسلام) بل كانت الباطنية في الزمن الماضي والحاضر من الشيعة كالصيديين بمصر والباطية في فارس ، وهم ليسوا في الحقيقة من الشيعة ولا من المسلمين والشيعة تقول بكفرهم كثيرها كذلك يشبهه مذهبهم بمذهب الصوفية الذين يقولون ان للقرآن ظاهرا وباطنا وان للدين اسراراً لا يفهمها الا الخواص ، ولكن فرقا عظيماً بين الصوفية والباطنية فالفزالي الذي كان أشد العلماء على الباطنية حتى انه صنف الكتب في الرد عليهم كان صوفياً يقول ان للدين اسراراً كما سيأتي عنه في هذه الترجمة مع بيان الفصل فيه بين الصوفية والباطنية

بل ان مقلدة المذاهب الأربعة في الفقه والمذهبيين الأشعري والماتريدي في الكلام وهم من اتباع أئمة أهل السنة قد سرت اليهم دعوة الباطنية الأولى فملاوا بها في الطالب فخطوا أمتهم معصومين وان لم يسموهم معصومين فبدأ التقليد عند أكثرهم ان الواجب اتباع ما ثبت في المذهب من غير بحث ولا دليل وانه لا يجوز رد شيء من

المذهب لما يظهر انه مخالف له من آية قرآنية وسنة نبوية ٤ بناء على ان امام المذهب وعلماءه اعلم بالكتاب والسنة فاقول ما يقولونه وهو الدين الواجب اتباعه على كل أحد! والفرق بينهم وبين الباطنية أن الباطنية تقول بامام واحد يتبع في كل شيء من الأصول والفروع وهم يقولون بامامين في العقائد هما الأشعري والماتريدي وأربعة في فروع الأعمال كل من خالفهم يكون ضالاً خارجاً عن هداية الإسلام إما إلى الكفر أو البدعة وإما إلى الفسق ٥ بل اوجبوا اتباع من لا يحصي عددهم من علماء هذه المذاهب وان لم يسموهم كلهم أئمة فهو لاء مقلدة سناقورة وجاوه بقديسون أحمد بن حجر الميمني ويوجبون اتباعه ديناً في كل ما دونه في كتبه وان خالف نص الشافعي الذي هو إمامه «ولكل قوم ابن حجر»

إذا عهد هذا فاعلم ان أبا حامد الغزالي قد أبطل في رده على الباطنية مذهبهم والنزعات التي سرت منه الى غيرهم من أهل المذاهب الإسلامية أو ما واقعته منها وان لم يكن بالسريان ٦ وأبطل التقليد مطلقاً كما أبطله كتاب الله وسلف الأمة حتى أئمة العقدة الأربعة ومن اخذ عنهم ٧ وأثبت انه ليس في البشر إمام معصوم يجب اتباعه غير محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني منذ بعثه الى آخر الزمان

أحسن ما وصل اليانا من كتب أبي حامد في ابطل مذهب الباطنية ويسمي مذهب التعليم كتاب (القسطاس المستقيم) وهو يشرح فيه مناقرة دارت بينه وبين أحد دعاة الباطنية وسماه بهذا الاسم لأن الباطني لما سأه بماذا يزن معرفته بالرأي والقياس الذي جرى عليه المسلمون في الاستدباط من النصوص وهو مثار الخلاف بين الناس ٨ لما فيه من التعارض والالتباس ٩ أم يميزان التعليم باتباع الإمام المعصوم؟ اجابه أبو حامد بأنه يزنهما بالقسطاس المستقيم كما أمر الله في كتابه . ثم استنبط له من القرآن خمسة موازين يعرف بها الحق من الباطل في كل علم . ثم بين له ان الشيطان له موازين تفضل الناس وهي طرق الوسوس والاهام ومسارب خطأ الناس في الفهم والعلم ١٠ ثم شرح له المقصد الذي أشرنا اليه فقال

« القول في الاستفتاء بمحمد صلى الله عليه وسلم وسلماؤه آمنه عن امام معصوم آخر »
 « وبيان معرفة صدق محمد صلى الله عليه وسلم بطريق أوضح من النظر في المعجزات »
 « وأوثق منه وهو طريق المعارف »

قال (أي الباطني) : لقد أكلت الشفاء وكشفت الغطاء وأتيت باليد البيضاء لكن
 بنيت قصراً وهدمت مصرأ فاني الى الآن كنت أتوقع ان أعلم منك الوزن بالميزان
 واستغني بك وبالقرآن عن الامام المعصوم فالآن اذ ذكرت هذه الدقائق في
 مداخل الغلط فقد آيست من الاستقلال به فاني لا آمن ان أغلط لو اشتغلت
 بالوزن وقد عرفت الآن لم اختلف الناس في هذه المذاهب وذلك لانهم لم يتفطنوا
 لهذه الدقائق كما فعلت فغلط بعضهم وأصاب بعضهم فاذا أقرب الطرق لي ان
 أعول على الامام المعصوم حتى أتخلص من هذه الدقائق

قلت : يا مسكين معرفتك بالامام الصادق ليست ضرورية فهي اما ان
 تكون تقليدا للوالدين أو موزونة بشيء من هذه الموازين فان كل علم ليس أوليا
 فبالضرورة يكون حاصله عند صاحبه بقيام هذه الموازين في نفسه وان كان هو
 لا يشعر به فانك عرفت صحة ميزان التقدير بانتظام الأصلين في ذهنك التجريبي
 والحسي وكذلك سائر الناس وهم لا يشعرون به ومن يعرف مثلا ان هذا الحيوان
 غير حامل لأنه يقل عرفه بانتظام الأصلين الذين ذكرناهما في صدر الكتاب وان
 كان لا يشعر بمصدر علمه وكذلك كل علم في العالم يحصل للانسان فيكون كذلك
 فانت ان أخذت اعتقاد العصاة في الامام الصادق بل في محمد صلى الله عليه وسلم
 تقليدا للوالدين والزعماء لم تتميز عن اليهود والنصارى والمجوس فانهم كذلك فعلوا
 وان أخذته من الوزن بشيء من هذه الموازين فلعلك غلطت في دقيقة من دقائقه
 فينبغي على زعمك ان لا تثق به

قال : صدقت فأين الطريق فقد سددت على طريق التعليم والوزن جميعا
 قلت : هيات راجع القرآن فقد علمك الطريق إذ قال تعالى « إن الذين اتقوا
 إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون » ولم يقل سافروا الى
 الامام المعصوم فاذا هم مبصرون فانت تعلم ان المعارف كثيرة فلو ابتدأت في كل

مشكلة سفرنا الى الامام المعصوم بزعمك طال مناوئك وقل عليك لكن طريقك أن تتعلم مني كيفية الوزن وتستوفي شروطه فان أشكل عليك شيء عرضته على الميزان وتفكرت في شروطه بفكر صاف وجد واف فاذا أنت مبصر . وهذا كما لوحبت ما البقال عليك أولك عليه أو قست في مسألة من مسائل الفرائض وشككت في الاصابة والخطأ فيطول عليك أن تسافر الى الامام المعصوم ولكن تحكم علم الحساب وتذكره ولا تزال تعاوده مرة بعد أخرى حتى تستيقن قطما انك ما غلطت في دقيقة من دقائقها وهذا يعرفه من يعرف علم الحساب وكذلك من يعرف الوزن به كما أعرفه فينتهي به التذكر والتفكر والمعاودة مرة بعد أخرى الى اليقين الضروري بانك ما غلط ، فان لم تسلك هذه الطريق لم تفلح قط وصرت تشكك بلعل وعسى ولعلك قد غلطت في تقليدك لامامك بل للنبي الذي آمنت به فان معرفة صدق النبي صلى الله عليه وسلم ليست ضرورية (أي ليست بدسيسة معلومة بالضرورة)

فقال : لقد ساعدتني على ان التلمح حق وان الامام هو النبي صلى الله عليه وسلم واعترفت بان كل واحد لا يمكنه ان يأخذ العلم من النبي صلى الله عليه وسلم دون معرفة الميزان وانه لا يمكنه معرفة تمام الميزان إلا منك فكأنك ادعيت الامامة لنفسك خاصة فإبرهانتك ومعجزتك فان امامي اما أن يقيم معجزة واما ان يحتج بالنص المتماقب من آياته اليه فأين نصك وأين معجزتك ؟

فقلت : اما قولك انك تدعي الامامة لنفسك خاصة فليس كذلك فاني ارجو أن يشاركني غيري في هذه المعرفة فيمكن أن يتعلم منه كما يتعلم مني فلا أجعل التلمح وقفاً على نفسي . واما قولك تدعي الامامة لنفسك فاعلم أن الامام قد نعتني به الذي يتعلم من الله بواسطة جبريل وهذا لا ادعيه نفسي وقد نعتني به الذي يتعلم من الله بغير جبريل ومن جبريل بواسطة الرسول ولهذا سمى علي رضي الله عنه اماماً فانه تعلم من الرسول لا من جبريل وأنا بهذا المعنى ادعي الامامة لنفسي . أما برهاني عليه فواضح من النص ومما نستقده معجزة فان ثلاثة انفس لو ادعوا عندك انهم يحفظون القرآن . فقلت ما برهانكم فقال أحدهم برهاني انه نص على الكسائي استاذ المقرئين اذ نص على استاذي واستاذي نص علي فكان الكسائي نص علي

وقال الثاني اني اقلب العصا حية قلب العصا حية ، وقال : الثالث برهاني اني اقرأ جميع القرآن بين يديك من غير مصحف فليت شعري أي هذه البراهين أوضح عندك وقلبك بابها أشد تصديقاً؟ فقال بالذي قرأ القرآن فهو غاية البراهين اذ لا يخالفني فيه ريب، أما نص استاذة عليه ونص الكسائي على استاذة فيتصور ان تقع فيه اغالط لا سيما عند طول الاسفار، وأما قلب العصا حية فلمه فعل ذلك بحيلة وتليس وان لم يكن تليسا فغايبه انه فعل عجيب ومن اين يلزم ان من قدر على فعل عجيب ينبغي ان يكون حافظاً للقرآن

قلت : فبرهاني اذا أيضاً اني كما عرفت هذه الموازين فقد عرفت وأفهمت وازلت الشك عن قلبك في صحته فيازمك الايمان بامامي كما انك اذا تعلمت الحساب وعلمته من استاذ فانه اذا علمك الحساب حصل لك علم بالحساب وعلم آخر ضروري بأن استاذك حاسب وعالم بالحساب كذلك فقد علمت من تعليمه علمه وصحة دعواه ايضاً في انه حاسب وكذلك آمنت أنا بصدق محمد صلى الله عليه وسلم وصدق موسى عليه السلام لا بشق القمر ولا بقلب العصا حية بمجردهما فان ذلك يتطرق اليه حينئذ التباس كثير فلا يوثق به بل من يؤمن بقلب العصا حية يكفر بخوار العجل ، فان التعارض في عالم الحس والشهادة كثير جدا لكني تعلمت الموازين من القرآن ثم وزنت بها جميع المعارف الالهية بل احوال المماد وعذاب القبر وعذاب أهل الفجور وثواب أهل الطاعة كما ذكرته في كتاب جواهر القرآن فوجدت جميعها موافقة لما في القرآن ولما في الاخبار فتيقنت ان محمداً صلى الله عليه وسلم صادق وان القرآن حق وفعلت كما قال علي رضي الله عنه اذ قال « لا تعرف الحق بالرجال اعرف الحق تعرف أهله » فكانت مرفقي بصدق النبي صلى الله عليه وسلم ضرورة كعرفتك اذا رأيت رجلاً عريباً يناظرني مسألة من مسائل الفقه وبحسن فيها ويأتي بالفقه الصحيح الصريح فانك لا تتأري في انه فقيه ويقينك الحاصل به أوضح من اليقين الحاصل بفقهه لو قلب الف عصا ثعباناً لان ذلك يتطرق اليه احتمال السحر والتليس والطمس وغيرها ولا يحصل العلم بالقرآن بينها وبين هذه الاشياء وكونها معجزة الا بعد بحث طويل ونظر دقيق ويحصل به ايمان ضئيف هو ايمان العوام والمتكلمين فإما إيمان

ارباب المشاهدة الناظرين من مشكاة الربوية فلا يكون كذلك
فقال : فانا أيضا اشتهي أن أعرف النبي صلى الله عليه وسلم كما عرفته وقد ذكرت
ان ذلك لا يعرف إلا بأن توزن جميع المعارف الالهية بهذا الميزان وما اتضح عندني
ان جميع المعارف الدينية يمكن وزنها بهذه الموازين فم اعلم ذلك ؟

قلت : هيات لا أدعي اني ازن بها المعارف الدينية فقط بل ازن بها العلوم
الحسائية والهندسية والطبيعية والفقهية والكلامية وكل علم حقيقي غير وضي فاني أميز
حقه عن باطله بهذه الموازين وكيف لا وهو القسط المستقيم والميزان الذي هو
رفيق الكتاب والقرآن في قوله تعالى : لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب
والميزان ليقوم الناس بالقسط ، وأمام معرفتك بقدرتي على هذا فلا تحصل لا بنص ولا بقلب
المصائبنا ولكن تحصل بأن تستكشف ذلك تجربة وامتحانا فدعي الفروسية لا ينكشف
صدقه حتى يركب فرسا ويركض ميدانا فسلي عما شئت من العلوم الدينية لا تكشف
لك الفطاء عن الحق فيه واحدا واحدا وازنه بهذا الميزان وزنا يحصل لك علم
ضروري بأن الوزن صحيح وان العلم المستفاد منه مستيقن ومن لم يجرب لم يعرف .

فقال : وهل يمكنك ان تعرف جميع الحقائق والمعارف الالهية جميع الخلق
قد رفع الاختلافات الواقعة بينهم ؟ قلت : هيات لا أقدر عليه وكان امامك المعصوم
الى الآن قد رفع الاختلافات بين الخلائق وازال الاشكالات عن القلوب بل
الانبياء متى رفعوا الاختلاف ومتى قد روا عليه ؟ بل اختلاف الخلق حكم ضروري
أزلي « ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك »
أفأدعي أن أردت قضاء الله الذي قضى به في الأزل ؟ أو يقدر امامك ان يدعي
ذلك ؟ فان كان يدعيه فلم ادخره الى الآت والدنيا طافحة بالاختلافات ؟
وايت شعري أرييس الامة علي بن ابي طالب رضي الله عنه كان سبب رفع الاختلافات
بين الخلق اوسبب تأسيس اختلافات لا تنقطع أبد الدهر ؟

« القول في طريق نجات الخلق من ظلمات الاختلافات »

فقال : كيف نجات الخلق من هذه الاختلافات ؟ قلت : إن اصفوا إلي رفعت
لاختلافات بينهم بكتاب الله تعالى ولكن لا حيلة في إصغابهم فانهم لم يصفوا بأجمعهم

الى الأنبياء ولا الى امامك فكيف يصفون إليّ وكيف يجتمعون على الاعضاء وقد حكم عليهم في الازل بانهم لا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم .
وكون الخلاف بينهم ضروريا تعرفه من كتاب « جواب مفصل الخلاف » وهو
الفصول الاثني عشر .

قَالَ : فلو أصغوا كيف كنت تفعل ؟ قلت : كنت أعلمهم بآية واحدة من كتاب الله تعالى إذ قال « وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد » الآية وانما أنزل هذه الثلاث لأن الناس ثلاثة أصناف وكل واحد من الكتاب والحديد والميزان علاج قوم .

قَالَ : فمن هم وكيف علاجهم ؟ قلت الناس ثلاثة أصناف عوام وهم أهل السلامة البدئية وهم أهل الجنة ، وخواص وهم أهل الذكاء والبصيرة ويتولد بينهم طائفة هم أهل الجدل والشغب فيتبعون ما تشابه من الكتاب ابتغاء الفتنة : أما الخواص فإني أعالجهم بأن أعلمهم الموازين القسط وكيفية الوزن بها فيرفع الخلاف بينهم على قرب وهوؤلاء قوم اجتمع فيهم ثلاث خصال إحداها التفرجة النافذة والفتنة القوية وهذه عطية فطرية وغريزة جبلية لا يمكن كسبها ، والثانية خلو باطنهم من تقليد وتمصّب لذهب موروث وسموع فان التقليد لا يصفى والبلبد وان أصفى فلا يفهم ، الثالثة أن يعتقد فيّ اني من أهل البصيرة بالميزان ومن لم يؤمن بأنك تعرف الحساب لا يمكنه أن يتعلمه منك

والصنف الثاني البدئية وهم جميع العوام وهوؤلاء هم الذين ليس لهم فطنة لفهم الحقائق وان كانت لهم فطنة فطرية فليس لهم داعية الطاب بل شغلتهم الصناعات والحرف وليس فيهم أيضا داعية الجدل بخلاف المتكاسين في العلم مع قصور الفهم عنه فهوؤلاء لا يختلفون ولكن يتخبرون بين الاثمة المختلفين فأدعو هؤلاء الى الله بالموعظة كما ادعو أهل البصيرة بالحكمة وادعو أهل الشغب بالمجادلة وقد جمع الله سبحانه وتعالى هذه الثلاثة في آية واحدة كما تلوته عليك أولاً فأقول لهم ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أعرابي جاءه فقال علمني من غرائب العلم فعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم انه ليس أهلا لذلك فقال « وماذا علمت في رأس العلم » أي

الايان والتقوى والاستعداد للآخرة « اذهب فأحكم رأس العلم ثم ارجع لاعلمك من غرائب » فأقول للعلمي ليس الخوض في الاختلافات من عشك فأخرج فإياك أن تخوض فيه أو تصفى اليه فهلك فانك اذا صرفت عمرك في صناعة الصياغة لم تكن من أهل الحياكة وقد صرفت عمرك في غير العلم فكيف تكون من أهل العلم (١) ومن أهل الخوض فيه فإياك ثم إياك أنت تهلك نفسك فكل كبيرة تجرى على العالمي أهون من أن يخوض في العلم فيكفر من حيث لا يدوي .

فان قال : لا بد من دين أعتقه واعمل به لأصل به الى المنفرة والناس يختلفون في الأديان فبأي دين تأمرني أن آخذ أو أعول عليه ؟ فأقول له للدين أصول وفروع والاختلاف انما يقع فيها أما الأصول فليس عليك أن لاتعتقد فيها إلا ما في القرآن فان الله تعالى لم يستر عن عباده صفاته وأسماءه فعليك أن تعتقد أن لا إله إلا الله وان الله حي عالم قادر سميع بصير جبار متكبر قدوس ليس كمثل شيء الى جميع ما ورد في القرآن واتفق عليه الأئمة فذلك كاف في صحة الدين وان تشابه عليك شيء فقل آمنا به كل من عند ربنا واعتقد كل ما ورد في اثبات الصفات وفيها على غاية التعظيم والتقديس مع في المائة واعتقاد انه ليس كمثل شيء وبعد هذا لا تنفت الى القبل والقال فانك غير مأمور به ولا هو على حد طاقتك . فان أخذ يتعذلق ويقول قد علمت انه عالم من القرآن ولكني لأعلم انه عالم بالذات أو بعلم زائد عليه وقد اختلف فيه الأشعرية والمعتزلة فقد خرج بهذا عن حد العوام إذ العالمي لا يلتفت قلبه الى مثل هذا ما لم يحركه شيطان الجدل فان الله لا يهلك قوماً الا يوتئهم الجدل كذلك ورد الخبر واذا التحق بأهل الجدل فسأذكر علاجهم .

هذا ما أعظ به في الأصول وهو الحوالة على كتاب الله فان الله أنزل الكتاب والميزان والحديد وهو لاء أهل الحوالة على الكتاب
وأما الفروع فأقول لا تشغل قلبك بمواقع الخلاف ما لم تفرغ عن جميع المتفق عليه فقد اتقت الامة على ان زاد الآخرة هو التقوى والورع وان الكسب

(١) يريد العلم بأصول العقائد والاحكام ومذاهب الخلاف فيها

الحرام والمال الحرام والغيبة والنميمة والزنا والسمرقة والخيانة وغير ذلك من المحظورات حرام والفرائض كلها واجبة فان فرغت من جميعها علمتك طريق الخلاص من الخلاف . فان هو طالبني بها قبل الفراغ من هذا كله فهو جديلي وليس بعامي ومتى تفرغ العامي من هذا الى مواضع الخلاف ؟ أفرأيت رقعاك قد فرغوا من جميع هذا ثم أخذوا إشكال الخلاف بمخفقهم ؟ هيئات ما أشبه ضعف عقولهم في خلافهم إلا بعقل مريض به مرض أشرف على الموت وله علاج متفق عليه بين الأطباء وهو يقول قد اختلفت الأطباء في بعض الادوية انها حارة أو باردة وربما افتقرت اليه يوما فأنا لا أعالج نفسي حتى أجد من يطعني رفع الخلاف فيه

نعم لو رأيتم صالحا قد فرغ من حدود التقوى كلها . وقال : ها أنا ذا تشكل عليّ مسائل فاني لا أدري أتوضأ من اللبس والقيء ، والرعاف وانوي الصوم بالليل في رمضان أو بالتهار الى غير ذلك . فأقول له ان كنت تطلب الامان في طريق الآخرة فاسلك سبيل الاحتياط وخذ بما يتفق عليه الجميع فتوضأ من كل ما فيه خلاف فان كل من لا يوجهه يستحبه وأنو الصوم بالليل في رمضان فان من لا يوجهه يستحبه . فان قال هو ذا يتقل على الاحتياط ويعرض لي مسائل تدور بين النفي والاثبات وقال لا أدري أتفت في الصبح ام لا وأجهر بالتسمية ام لا فأقول الآن اجتهد مع نفسك وانظر الى الأئمة ايهم افضل عندك وصوابه أغلب على قلبك كما لو كنت مريضا وفي البلد اطباء فانك تختار بعض اطباء باجتهادك لا بهواك وطبعك فيكفيك مثل ذلك الاجتهاد في امر دينك فمن غلب على ظنك انه الأفضل فاتبه (١) فمن أصاب فيما قال عند الله فله في ذلك اجران وان أخطأ فله عند الله في ذلك اجر واحد وكذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قال « من اجتهد فأصاب فله اجران ومن اجتهد فأخطأ فله اجر واحد » ورد الله تعالى الأمر الى أهل الاجتهاد وقال تعالى « لعلمه الذين يستنبطونه منهم » وارتضى الاجتهاد لأهله اذ قال رسول الله صلى

(١) ليس هذا امرا بالتقليد الذي ابطله سابقا ولاحقا وانما هو امر بنوع من الاجتهاد اشخص لا يكاد يوجد على فرض وجوده فقد امره اولا ان يجتهد في نفسه ثم في الأئمة الذين اشتبه في أي اقوالهم في تلك المسائل ارجح وان يأخذ بقول من رأى قوله اصوب ولا يكون ذلك الا بعد النظر في دليله . غاية الامر ان اجتهاده لا يكون مطلقا بل منتسبا الى من رجح دليله

الله عليه وسلم لمعاد « بهم تحكم؟ » قال بكتاب الله قال « فان لم تجد؟ » قال بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « فان لم تجد؟ » قال اجتهد رأيي . قال ذلك قبل ان أمره به رسول الله صلى الله عليه وسلم وأذن له فيه فقال النبي صلى الله عليه وسلم « الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضاه رسول الله » ففهم من ذلك انه مرضي به من رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاد وغيره كما قال الاعرابي اني هلكت واهلكت واقعت اهلي في نهار رمضان فقال « أعتق رقبة » ففهم ان التركي أو الهندي لو جامع أيضا لزمه الاعتاق وهذا لأن انطلق ما كلفوا الصواب عند الله فان ذلك غير مقدور عليه ولا تكليف بما لا يطاق بل كلفوا ما يظنونه صوابا كما لم يكلفوا الصلاة بثوب ظاهر بل بثوب يظنون انه ظاهر ولو تذكروا نجاسته لم يلزمهم القضاء اذ نزع رسول الله صلى الله عليه وسلم نعله في اثناء الصلاة لما انبأ جبريل أن عليه قدرا ولم يعد الصلاة ولم يستأنف وكذلك لم يكلف ان يصلي الى القبلة بل الى جهة يظن انها القبلة بالاستدلال بالجبال والكواكب والشمس فان اصاب فله اجران والا فله اجر واحد ولم يكلفوا أداء الزكاة الى الفقير بل الى من ظنوا فقره لان ذلك لا يعرف باطنه ولم يكلف القضاء في سفك الدماء وابعاد الفروج طلب شهود يملعون صدقهم بل من يظنون صدقهم واذا جاز سفك دم بظن يحتمل الخطأ وهو ظن صدق الشهود فلم لا تجوز الصلاة بظن شهادة الأدلة عند الاجتهاد!

وليت شعري ماذا يقول رفقائك في هذا؟ يقولون اذا اشتبهت عليه القبلة يوخر الصلاة حتى يسافر الى الامام ويسأله أو يكلفه الاصابة التي لا يطيقها أو يقول اجتهد لمن لا يمكنه الاجتهاد اذ لا يعرف ادلة القبلة وكيفية الاستدلال بالكواكب والجبال والرياح؟ قال لا شك في انه يأذن له في الاجتهاد ثم لا يؤثمه اذا بذل كنه مجهوده وان اخطأ أو صلى الى غير القبلة

قلت فاذا كان من جعل القبلة خلفه ممدورا مأجورا فلا يعد ان يكون من اخطأ في سائر الاجتهادات ممدورا فالجهودون ومقلدوهم كلهم ممدورون بعضهم مصيبون ما عند الله وبعضهم يشاركون المصيبين في احد الاجرين فمناصبتهم مقاربة وليس لهم

ان يتعاندوا وان يتعصب بعضهم مع بعض لا سيما والمصيب لا يتعين وكل واحد منهم يظن انه مصيب كما لو اجتهد مسافران في القبلة فاختلغا في الاجتهاد فحقهما ان يصلي كل واحد الى الجهة التي غلبت على ظنه وان يكف انكاره واغراضه واعتراضه على صاحبه لانه لم يكلف إلا استعمال موجب ظنه اما استقبال عين القبلة عند الله فلا يقدر عليه وكذلك كان معاذ في اليمن يجتهد لاعلى اعتقاد انه لا يتصور منه الخطأ لكن على انه ان اخطأ كان معذورا وهذا لان الامور الوضعية الشرعية التي يتصور ان تختلف بها الشرائع يقرب فيها الشيء من تقيضه بعد كونه مظلونا في سر الاستبصار واما ما لا تتغير فيه الشرائع فليس فيه اختلاف وحقيقة هذا الفصل تعرفه من اسرار اتباع السنة وقد ذكرته في الاصل العاشر من الاعمال الظاهرة من كتاب جواهر القرآن واما الصنف الثالث وهم أهل الجدل فاني ادعوهم بالتلطف الى الحق واعني التلطف أن لا اتعصب عليهم ولا اعنفهم لكن ارفق واجادلهم بالتي هي أحسن وكذلك أمر الله تعالى رسوله ومعنى المجادلة بالاحسن ان آخذ الاصول التي يسلمها الجدلي واستتج منها الحق بالميزان المحقق على الوجه الذي اوردته في كتاب الاقتصاد والى ذلك الحد فان لم يقنع ذلك لتشوفه بهطته الى مزيد كشف رقبته الى تعليم الموازين فان لم يقنع لبلادته واصراره على تعصبه وبلجاجة وعناده عاجته بالحديد فإن الله سبحانه جعل الحديد والميزان قريني الكتاب ليعلم منه ان جميع الخلائق لا يقومون بالتسبط إلا بهذه الثلاث فالكتاب للعوام والميزان للخوارج والحديد الذي فيه بأس شديد للذين يقومون ما تشابه من الكتاب ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ولا يعلمون ان ذلك ليس من شأنهم وانه لا يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم دون اهل الجدل واعني باهل الجدل طائفة فيهم كياسة رفقوا بها عن العوام ولكن كياستهم ناقصة اذ كانت الفطرة كاملة ولكن في باطنهم خبث وعناد وتعصب وتقليد فذلك يمنعهم عن ادراك الحق وتكون هذه الصفات أكنة على قلوبهم ان يتقوه وفي آذانهم وقراكن لم تهلكهم إلا كياستهم الناقصة فان الفطنة البتراء والكياسة الناقصة شر من البلاءة بكثير وفي الخبر « إن أكثر اهل الجنة البلاءة وان عليين لدوي الالباب » (١) ويخرج من جملة

الفرقيين الذين يجادلون في آيات الله وأولئك أصحاب النار ويزعم الله بالسلطان ما لا يزع القرآن وهو لاء . ينبغي ان ينعوا من الجدال بالسيف والسنان كما فعل عمر رضي الله عنه برجل اذ سأله عن آيتين متشابهتين في كتاب الله تعالى فعلاه بالدره وكأقال مالك رضي الله عنه لما سئل عن الاستواء على العرش فقال : الاستواء حق والايان به واجب والكيفية مجهولة والسؤال عنه بدعة . وحسم بذلك باب الجدال وكذلك فعل السلف كلهم . وفي فتح باب الجدال ضرر عظيم على عباد الله تعالى

فهذا مذهبي في دعوة الناس الى الحق واخراجهم من ظلمات الضلال الى نور الحق وذلك بأن دعوة الخواص الى الحكمة بتعليم الميزان حتى اذا تم الميزان القسط لم يقدر به على علم واحد بل على علوم كثيرة فان من معه ميزان فانه يعرف به مقادير أعيان لانهاية لها كذلك من معه القسطاس المستقيم فمعه الحكمة التي من أوتىها فقد أوتي خيرا كثيرا لانهاية له ولولا اشتمال القرآن على الموازين لما صح تسمية القرآن نورا لان النور ما يبصر بنفسه ويبصر به غيره وهونعت الميزان ولما صدق قوله « ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين . » فان جميع العلوم غير موجودة في القرآن بالتصريح ولكن موجودة فيه بالقوة لما فيه من الموازين القسط التي بها تفتح أبواب الحكمة التي لانهاية لها فهذا ادعو الخواص . ودعوت العوام بالموعظة الحسنة بالا حالة على الكتاب والاقصا ر على ما فيه من الصفات الثابتة لله تعالى . ودعوت أهل الجدال بالمجادلة التي هي أحسن فن أبي أعرضت عن مخاطبته وكففت شره بيأس السلطان والحديد المنزل مع الميزان

فليت شعري الآن يارفيقي بم يعالج أمامك هؤلاء الاصناف الثلاثة ؟ أيعلم العوام فيكلفهم ما لا يفهمون ويخالف رسول الله صلى الله عليه وسلم أو يخرج الجدال من أدمغة المجادلين بالحاجة ولم يتسدر على ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم مع كثرة حاجة الله تعالى في القرآن مع الكفار ؟ فما أعظم قدرة امامك إذ صار أقدر من الله تعالى ومن رسوله !! أو يدعو أهل البصيرة الى تقليده وهم لا يقبلون قول الرسول صلى الله عليه وسلم بالتقليد ولا يقنعون بقلب العصا ثعبانا بل يقولون هو فعل غريب ولكن من أين يلزم منه صدق فاعله وفي العالم من غرائب السحر

والطلسمات ماتتجبر فيه العقول ولا يقوى على تمييز المعجزة عن السحر والطلسم الا من عرف جميعها وجملة أنواعها ليعلم ان المعجز خارج عنها كما عرف سحرة فرعون معجزة موسى عليه السلام اذ كانوا من أئمة السحرة ومن الذي يقوى على ذلك؟ بل أهل البصيرة يريدون من المعجزة ان يعلموا صدقه من قوله كما يعلم متعلم الحساب من نفس الحساب صدق أستاذه في قوله اني حاسب فهذه هي المعرفة اليقينية التي بها يقع أولوالآب وأهل البصائر ولا يقنعون بغيرها البتة وهم اذا عرفوا بمثل هذا المنهاج صدق الرسول صلى الله عليه وسلم وصدق القرآن وفهموا موازين القرآن كما ذكرت لك وأخذوا منه مفاتيح العلوم كلها مع الموازين كما ذكرت في كتاب جواهر القرآن فمن أين يحتاجون الى امامك المعصوم؟ وما الذي حل من اشكالات الدين؟ وماذا كشف عن غوامضه؟ قال الله تعالى «هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه» وقد سمعت الآن مناهجي في موازين العلوم فأروني ماذا اقتبسته من غوامض العلوم من امامك الى الآن وماذا الذي يتعلمون منه؟ وليت شعري ما الذي تعلمت من امامك المعصوم أرني ما رأيتها :

مايسدي بي رتسدي أوف خر ابن وقلب يارفتوت

فليس الغرض من الدعوة الى المائدة مجرد الدعوة دون الاكل والتناول منها واني اراكم تدعون الناس الى الامام ثم اري المستجيب لإمامك بعد الاستجابة على جهل الذي كان قبله لم يحل له الامام عقدا بل ربما عقدا له حلا ولم تفده استجابته لعلنا بل ربما زاد به طغيانا وجهلا

قال : قد طالت صحبتي مع رفقائي ولكن ما تعلمت منهم شيئا الا انهم يقولون عليك بذهب التعليم واياك والرأي والقياس فانه متعارض مختلف قلت: فمن الغرائب ان يدعوا الى التعليم ثم لا يشتغلوا بالتعليم فقل لهم قد دعوتوني الى التعليم فاستجيب فعلموني ما عندكم فقال: ما أراهم يزيدونني على هذا شيئا قلت: فأني قائل أيضا بالتعليم وبالامام وببطلان الرأي والقياس وأنا أزيدك على هذا لو أعطت ترك التقليد تعلم غرائب العلوم وأسرار القرآن فأستخرج لك منه مفاتيح العلوم كلها كما استخرجت منه موازين العلوم كلها على ما أشرت الى كيفية انشاب العلوم كلها منه في كتاب

جواهر القرآن لکنی است ادعو الی امام سوی محمد صلی الله علیه وسلم ولا الی کتاب
سوی القرآن فنه أستخرج جمیع أسرار العلوم و برهانی علی ذلك لسانی و یانی و علیک
إن شککت نجری و امتحانی فأقترانی أولى بأن یتعلم منی من وفقاتک أم لا؟ اه المراد منه
